# وقفة مع ‹ وَبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ›

كتبه غريب بتاريخ الجمعة ٢٥ رمضان ١٤٤٢

إقرأ وتأمل قول الحق سبحانه:

**‹ وَبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ›**

[الزمر: ٤٨]

أعد القراءة, مرة, واثنتين, وثلاث ...

تأمل المشهد ...

ولنبدأ نتفكر في الآية

من هم هؤلاء الذين بدا لهم سيئات ما كسبوا, وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون؟

إنهم الذين ذكر اللّٰه في الآية التي قبل هذه الآية:

**‹ وَلَو أَنَّ لِلَّذينَ ظَلَموا ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ مِن سوءِ العَذابِ يَومَ القِيامَةِ وَبَدا لَهُم مِنَ اللَّهِ ما لَم يَكونوا يَحتَسِبونَ ›**

[الزمر: ٤٧]

إنهم الذين ظلموا, هم من ينتظرهم هذا المشهد الأليم, والعياذ بالله.

إذا كنت ممن يفسر الذين ظلموا بالكفار المشركين من الأمم الأخرى، ومن هذه الأمة, ولذلك تعتقد أنك لست منهم, فشكرا لك, يمكنك أن تتوقف عن قراءة بقية المقال فهو ليس لك.

لأن هذا المقال للمؤمنين بكلام الله حقا، الذين لا يقنطون من رحمته، ولا يأمنون مكره سبحانه، قال ربنا عز وجل:

**﴿ أَفَأَمِنوا مَكرَ اللَّهِ فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللَّهِ إِلَّا القَومُ الخاسِرونَ ﴾**

[الأعراف: ٩٩]

لذلك لنراجع الآيات، ولنتدبرها، حتى نعرف منهم الظالمون الذين ينتظرهم ذلك المشهد العظيم، ولنقرأ بتأمل:

**﴿ وَلَو أَنَّ لِلَّذينَ ظَلَموا ما فِي الأَرضِ جَميعًا وَمِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ مِن سوءِ العَذابِ يَومَ القِيامَةِ وَبَدا لَهُم مِنَ اللَّهِ ما لَم يَكونوا يَحتَسِبونَ۝وَبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ﴾**

[الزمر: ٤٧-٤٨]

لقد وصف الله الظالمين في هاتين الآيتين بصفتين هما الترجمة العملية لأمن مكر الله، علينا أن نتأكد من عدم تحققهم فينا، وهما:

#### وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

لقد كانوا واثقين من أنهم سيدخلون الجنة، فهم يرون أنفسهم مؤمنين، وما داموا لم يرتكبوا أمراً مكفراً فلا داعي للقلق.

وقطعا سوف يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم في الفردوس الأعلى.

يبدو ما سبق منطقي جداً، فلماذا يكون من صفات الظالمين؟

وما هو شعور المؤمنين اتجاه الآخرة أصلا؟

إذا بحثنا عن شعور المؤمنين حيال الآخرة، نجدهم في حزن شديد ودائم، لدرجة أنهم يوم القيامة عندما يدخلون الجنة، يفرحون بذهاب ذلك الحزن، أكثر من نعيم الجنة نفسها، واقرأ:

**‹ جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها يُحَلَّونَ فيها مِن أَساوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤلُؤًا وَلِباسُهُم فيها حَريرٌ◌وَقالُوا الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي أَذهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفورٌ شَكورٌ◌الَّذي أَحَلَّنا دارَ المُقامَةِ مِن فَضلِهِ لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فيها لُغوبٌ ›**

[فاطر: ٣٣-٣٥]

لاحظ كيف قدمو ذكر ذهاب الحزن، على نعيم الجنة نفسها.

إن المؤمنين في هذا الدنيا يعيشون كما لو كان عذاب الله سيصيبهم في الآخرة حتما، فهم يتألمون لذلك ويحزنون، ولقد وصف الله شعورهم ذلك، حين قال مخبرا عنهم:

**‹ وَالَّذينَ يَقولونَ رَبَّنَا اصرِف عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَرامًا◌إِنَّها ساءَت مُستَقَرًّا وَمُقامًا ›**

[الفرقان: ٦٥-٦٦]

لاحظ قولهم اصرف عنا !!!

كما لو كان عذاب جهنم قد أصابهم فعلا،

فهم يصفونه بأوصاف من يعيش فيه.

هذا هو شعور المؤمنين الذي أكدت عليه آيات كثيرة، والذي يظهر من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم، فقد كانوا دوما في بكاء من خشية الله، حينما يمرون بآيات العذاب يعيشونها بكل تفاصيلها وكأنها تتحدث عنهم هم تحديداً.

قد يبدو للوهلة الأولى أن شعور المؤمنين هذا غريب، فالله قد وعد المؤمنين بالجنة والأجر العظيم:

**‹ وَعَدَ اللَّهُ المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ وَرِضوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكبَرُ ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ ›**

[التوبة: ٧٢]

فلماذا كل هذا الخوف والحزن الشديد, ما دام اللّه قد وعد, والمؤمن لا يشك في وعد اللّه؟

أليس من المفروض أن يكون المؤمن مطمن, لأنه سيدخل الجنة, ولذلك لا داعي لكل هذا الرعب, فالله غفور رحيم؟

إن الجواب نجده في الآية الموالية:

**وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**

قال ربنا عز وجل واصفا الظالمين الآمنين لمكر اللّه, الذين كانوا يحسبون أنهم إلى الجنات صائرون:

**﴿ وَبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبوا وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ ﴾**

[الزمر: ٤٨]

إنها السيئات التي اقترفوا في الدنيا

إنها المعاصي، إنها الذنوب !!!

نعم الجواب يكمن في رؤية الظالمين للذنوب، ورؤية المتقين لها

الظالمون يعتبرون الذنوب أمرا بسيطاً, لا يضر مع الإيمان, لأنهم لم يعرفوا الإيمان قط, وهو عندهم مجرد دعوى غير منعكس في أعمالهم.

لذلك الظالمون يستهزؤون بمعصية اللّه, فيصرون عليها, لأنها لا تضرُ بحسب معتقدهم الفاسد والعياذ بالله يستهزئون بأوامر اللّه.

ولذلك كانوا مطمئنين في الدنيا لما هم عليه من باطل.

في المقابل المؤمنون يخافون خوفا شديدا من ذنوبهم

لا يعلمون متى يغفرها اللّه لهم, صحيح أن اللّه وعد بالمغفرة ولكن لم يعد بها على الفور.

لذلك ربما يدخلون النار برهة من الزمن قبل أن يتوب الله عليهم, ولذلك هم مرعوبون, في حزن دائم, لا ينتهي إلا بدخول الجنة.

المؤمنون لما يقرأون قول الله عز وجل عن بني إسرائيل:

**﴿ لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِن بَني إِسرائيلَ عَلى لِسانِ داوودَ وَعيسَى ابنِ مَريَمَ ذلِكَ بِما عَصَوا وَكانوا يَعتَدونَ۝كانوا لا يَتَناهَونَ عَن مُنكَرٍ فَعَلوهُ لَبِئسَ ما كانوا يَفعَلونَ ﴾**

[المائدة: ٧٨-٧٩]

ترتعد فرائسهم, لأن الكفر واللعنة التي حلت ببني إسرائيل إنما كانت بسبب المعاصي والاعتداء على حدود الله, فيخافون من المعاصي أكثر وأكثر.

وحين يقرأون عن أصحاب السبت, قوله سبحانه:

**﴿ وَلَقَد عَلِمتُمُ الَّذينَ اعتَدَوا مِنكُم فِي السَّبتِ فَقُلنا لَهُم كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ ﴾**

[البقرة: ٦٥]

يخافون أن يصيبهم الله ببعض ذنوبهم, فيزداد حزنهم وخوفهم, ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الرياحا تغير وجهه وخاف أن تكون ريحا كريح عاد, لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ولقد رأينا ما حدث مع يونس صلى الله عليه وسلم من بلاء حين ذهب عن قومه قبل أن يؤذن له.

إن المؤمنين هم الذين يهون عليهم ما يلاقون رجاء أن يغفر الله لهم خطاياهم, لأنها همهم الأكبر, وشغلهم الشاغل, لذلك نفهم رد السحرة على فرعون حين قال لهم:

**﴿ قالَ آمَنتُم لَهُ قَبلَ أَن آذَنَ لَكُم إِنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ فَلَسَوفَ تَعلَمونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وَأَرجُلَكُم مِن خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُم أَجمَعينَ ﴾**

[الشعراء: ٤٩]

فكان ردهم:

‹ قالوا لا ضَيرَ إِنّا إِلى رَبِّنا مُنقَلِبونَ۝إِنّا نَطمَعُ أَن يَغفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَن كُنّا أَوَّلَ المُؤمِنينَ ›

[الشعراء: ٥٠-٥١]

فالصلب وتقطيع الأرجل والأيدي من خلاف لا يهم, إذا كان في سبيل نيل المغفرة التي نطمع فيها, لأننا مؤمنين.

فاختر لنفسك أمان في الدنيا, أو أمان في الآخرة.